كيف نبنى دولة مدنية ديمقراطية فى مصر

04

هل تدفع الحكومة إيجاراً لنفسها فى العاصمة الإدارية؟

05

سيرةُ مصريٍّ.. مع عمار على حسن وعنه

03

قناة اتصال سرية بين الشرع والمخابرات البريطانية منذ 2023

كشفت صحيفة The Telegraph البريطانية، فى تقرير نشرته، عن تفاصيل مثيرة تتعلق بإدارة قناة اتصال سرية جمعت بين مسؤول بريطاني، وهيئة تحرير الشام التى يقودها أحمد الشرع، فى خطوة تعكس تحولًا عميقًا فى طريقة تعاطى الغرب مع الملف السوري، ومع جماعات كانت حتى وقت قريب مصنفة رسميًا كتنظيمات إرهابية.

وبحسب ما ورد فى التقرير، لعب جوناثان باول، مستشار الأمن القومى البريطاني، دورًا محوريًا فى فتح قناة اتصال غير معلنة مع هيئة تحرير الشام فى عام ٢٠٢٣، وذلك خلال فترة عمله فى مؤسسة خيرية، وبعلم وطلب من أجهزة استخبارات بريطانية.

لم يكن الهدف من هذه القناة إنسانيًا بحتًا، بل سياسيًا وأمنيًا بالأساس، إذ سعت لندن من خلالها إلى استكشاف مستقبل سوريا فى حال سقوط نظام بشار الأسد، ومحاولة بناء خطوط تواصل مبكرة مع القوى الفاعلة على الأرض، حتى وإن كانت لا تزال مصنفة كتنظيمات "إرهابية".

ووضع التقرير اسم أحمد الشرع، أو "أبو محمد الجولاني" فى صلب هذه الاتصالات، فالشرع المعروف سابقًا بقيادة جبهة النصرة المرتبطة بتنظيم القاعدة، كان يقود وقتها هيئة تحرير الشام، التى تفرض سيطرتها على مساحات واسعة من شمال سوريا.

ورغم ماضيه الجهادي، إلا أنه بدأ خلال السنوات الأخيرة فى إعادة تقديم نفسه كزعيم محلى يسعى لإدارة مدنية، والتخلى – نظريًا – عن مشروع "الجهاد العالمي"، فى محاولة لكسب قبول إقليمى ودولي، أو على الأقل تخفيف حدة العزلة السياسية المفروضة عليه.

اللافت فى القضية ليس مجرد وجود اتصالات سرية، بل ما تلاها لاحقًا، فبعد سقوط نظام الأسد وتغير المعادلة السياسية فى سوريا، اتجهت بريطانيا إلى إعادة تقييم موقفها من هيئة تحرير الشام، وصولًا إلى رفعها من قائمة التنظيمات الإرهابية فى ٢١ أكتوبر الماضي.

أثار هذا التحول حفيظة المعارضين، إذ يرى منتقدو هذه الخطوة أن التواصل مع تنظيم يقوده أحمد الشرع يعنى منح شرعية سياسية لشخصية متهمة تاريخيًا بالعنف والإرهاب، دون محاسبة واضحة على الجرائم السابقة، مما يثير التساؤلات حول جدية ضمانات عدم العودة إلى الإرهاب.

فيما يدافع أنصار هذا التوجه عن فكرة أن الواقع يفرض نفسه وأن تجاهل القوى الفعلية فى سوريا لن يؤدى إلا إلى مزيد من الفوضى، مؤكدين أن دمج هذه القوى فى العملية السياسية قد يكون وسيلة لاحتوائها بدل تركها خارج النظام الدولي.

غياب التفاصيل فى التقرير البريطانى على هذا النحو، لم يغلق باب التساؤل بل وسّعه، خاصة فى ضوء التحولات اللافتة فى مواقف القيادة السورية الجديدة خلال المرحلة الأخيرة.

غموض العلاقة قبل سقوط الأسد

رغم أن التقرير البريطانى أشار بوضوح إلى وجود قناة اتصال سرية بين جوناثان باول وهيئة تحرير الشام، إلا أنه تعمد عدم الخوض فى طبيعة هذه العلاقة أو مضمون التواصل بينهما قبل سقوط نظام بشار الأسد، وهذا الغموض لا يعنى بالضرورة غياب تفاهمات، لكنه يفتح بابًا مشروعًا للتساؤل حول توقيت وحدود هذه الاتصالات، وما إذا كانت جزءًا من ترتيبات أوسع جرى إعدادها مبكرًا لإدارة مرحلة ما بعد الأسد.

تحوّل فى خطاب وسلوك أحمد الشرع

لوحظ خلال المرحلة الأخيرة، تحول واضح فى خطاب أحمد الشرع وسلوكه السياسي، فالرجل الذى ارتبط اسمه طويلًا بخطاب الجهاد والمواجهة المفتوحة، بات يركز على مفردات الإدارة والحكم المحلي، مع حرصه على تقديم نفسه كشخص يمكن التعامل معه دوليًا، فى محاولة لإزالة الحواجز النفسية والسياسية التى تراكمت بفعل نشاطه السابق.

التنازلات السيادية والرسائل الدولية

أكثر المؤشرات إثارة للجدل تمثلت فى التنازلات السيادية غير المسبوقة، سواء عبر التصريحات السياسية للشرع نفسه، التى أبدى فيها رفضه الدخول فى صراع مع إسرائيل المحتلة أجزاء من أرض سوريا بعد سقوط نظام بشار، أو عبر خطوات رمزية اتخذتها حكومته، وفى مقدمتها نشر وزارة الخارجية السورية خريطة رسمية لسوريا خالية من هضبة الجولان المحتلة ولواء اسكندرون، تحت عنوان "بدون قانون قيصر".

هذا التصريحات والخطوات لا يمكن قراءتها باعتبارها تفصيلًا فنيًا أو سهوًا بروتوكوليًا، بل تحمل دلالات سياسية عميقة، توحى بقبول ضمنى بالأمر الواقع، أو توجه رسالة طمأنة إلى أطراف دولية بعينها.

العلاقة مع الولايات المتحدة

فى السياق السياسى الدولي، من الصعب تصور أن الولايات المتحدة تمنح شرعية أو اعترافًا سياسيًا لقوى صاعدة دون مقابل واضح، فتاريخ السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط يؤكد أن الانفتاح غالبًا ما يكون مشروطًا بضمانات تتعلق بأمن إسرائيل وتثبيت الحدود، وإنهاء الملفات التاريخية العالقة.

وفى قراءة لتداعيات زيارة الشرع للولايات المتحدة الأمريكية، أثار تصريح الرئيس الأمريكى دونالد ترامب فى منتصف الشهر الجاري، بشأن "إهداء" رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو، هضبة الجولان، بعد عناء استمر ٧٠ عامًا، دون مقابل، التساؤلات حول الثمن الذى ربما دفعته القيادة السورية الحالية مقابل هذا الاعتراف الدولي.

بين الغموض والوقائع.. أسئلة بلا إجابات

فى ظل غياب المعلومات الكاملة حول كواليس الاتصالات السابقة بين المخابرات البريطانية وهيئة تحرير الشام، وتزامن ذلك مع مواقف سياسية لافتة فى الحاضر، تصبح قراءة المشهد معقدة ومفتوحة على أكثر من احتمال، كما تطرح أسئلة جوهرية حول مستقبل السيادة السورية وحدود التغيير المقبول دوليًا فى المرحلة المقبلة.

تقرير - إيمان جمعة

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
مجدى شندى

العدد 343 السنة الرابعة عشرة
الأحد 28 ديسمبر 2025م
8 رجب 1447هـ
12 صفحة - الثمن : 5 جنيهات

الموقع الإلكترونى
www.elmashhad.online

المشهد

لا سقف للحرية

المال السايب فى الكرة المصرية

13

داود عبد السيد يرحل من "أرض الخوف"..

حزن عميق يخيم على من يعرفون قدره ومطالب بإطلاق اسمه على ميدان بالقاهرة

رحل السبت الماضى المخرج الكبير داوود عبد السيد، أحد أبرز صناع السينما فى جيله، عن عمر ناهز ٧٩ عامًا، بعد صراع مع المرض.

يمثل الراحل داوود عبد السيد جزءا مهما من تاريخ الفن السينمائى فى مصر والعالم العربى فى مجالات الإخراج وكتابة السيناريو، حيث تتميز أفلامه بالقرب من شخصيات المجتمع العادية، وترتبط موضوعاته بهموم الناس وقضاياهم مثل الظلم الاجتماعى أو البيروقراطية.

وكسر رحيله الحائط الوهمى بين عنصرى الأمه حيث شاركت قطاعات كبيرة من النخبة فى تشييع جنازته الأحد بكنيسة مار مرقس بمصر الجديدة، وكذا فى عزاء اليوم التالى بنفس الكنيسة..

ولد الراحل فى نوفمبر عام ١٩٤٦، وتخرج فى المعهد العالى للسينما عام ١٩٦٧، وبدأ حياته المهنية بالعمل كمساعد مخرج فى أفلام، من بينها "الأرض" ليوسف شاهين، و"الرجل الذى فقد ظله" لكمال الشيخ.وقال فى أحد الحوارات الصحفية إن مهنة مساعد مخرج شاقة جدا وتتطلب تركيزا شديدا.

بدأ داوود عبد السيد مسيرته بأفلام تسجيلية، بينها "وصية رجل حكيم فى شؤون القرية والتعليم" عام ١٩٧٦، والعمل فى الحقل عام ١٩٧٩، وعن الناس والأنبياء والفنانين" عام ١٩٨٠. وأخرج أول أفلامه السينمائية "الصعاليك" عام ١٩٨٥، بطولة نور الشريف ومحمود عبد العزيز وبسرا، ويعرض قصة صعود إثنين من اللصوص إلى أن يصبحا من نجوم المجتمع. ثم توالت أعماله السينمائية خلال الثمانينيات والتسعينيات والتى كتب السيناريو لأغلبها، ومن أبرزها "البحث عن سيد مرزوق ١٩٩١، الكيت كات ١٩٩١، سارق الفرح ١٩٩٣، أرض الأحلام (١٩٩٣) أرض الخوف ٢٠٠٠، مواطن ومخبر وحرامى ٢٠٠١، رسائل البحر ٢٠١٠، وقدرات غير عادية ٢٠١٥.

وخيم الحزن على مواقع التواصل الاجتماعى كما لم يحدث فى وفاة مخرج سينمائى من قبل:

نعاه مهرجان القاهرة السينمائى الدولى بالقول إنه رحل بعد مسيرة استثنائية ترك خلالها بصمات خالدة فى تاريخ الفن السابع، وقدّم أعمالًا شكلت وجدان أجيال من محبى السينما، وقال الفنان حسين فهمي، رئيس المهرجان:"برحيل داود عبد السيد تفقد السينما المصرية أحد أهم مبدعيها وأكثرهم صدقًا وخصوصية. كان صاحب رؤية فلسفية وإنسانية نادرة، وترك لنا أعمالًا ستبقى مرجعًا فى الجمال والوعى والمعنى. لقد ساهم داود عبد السيد فى ترسيخ مفهوم السينما كفن للتأمل والبحث فى الإنسان والمجتمع، وسنظل نحتفى بإرثه ونتعلم من بصيرته السينمائية العميقة."

الأديب عمار على حسن قال: برحيل داود عبد السيد تكون صفحة مهمة من تاريخ السينما المصرية قد طويت. وأضاف: قابلت الرجل قبل سنوات قليلة فى لقاء سياسي، وسألته عن حاله مع السينما، فوجدته حزينًا قانطًا دون حنق أو حقد لأنه لا يجد إنتاجًا لسيناريوهات تحمس لها، وبدا لى وقتها أن مستقبله قد بات خلفه، مع تغير اتجاهات الإنتاج والتوزيع. كان داود عبد السيد لا يقبل أى سيناريو عابر، ولا يخرج أى فيلم لمجرد الوجود على الساحة، أو كسب المال، إنما كان يُحسن الاختيار، ويعمل باقتدار، حسبما رأينا فى فيلمه الفارق "الكيت كات".وقد خسرنا برحيله واحدًا من أهم المخرجين فى تاريخ السينما المصرية المديد.

أما د. نبيل عبد الفتاح الباحث الشهير بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية فقال إنه المخرج الكبير المكانة والمقام الذى اثرى السينما ،وحياتنا بالجمال والعمق والمعني، دواد الغالى كان من ابرز شخصيات مصر الأخرى المستقلة المؤمنة برسالتها ودورها ، رمزًا للحرية والعقل الحر المستقل ، واحد بناة الجمال والتفرد". فيما ودعه خالد البلشى نقيب الصحفيين بالقول: وداعًا فيلسوف السينما، الكلمات تعجز عن التعبير عن حجم الفقد برحيلك

وأكد المخرج الكبير يسرى نصر الله أن "خياله كان أوسع من هذا العالم. وأفلامه احتضنت العالم.. أحبت أفلامه الناس فأحبه الناس وأحبوا خياله. مع السلامة يا داود".

الشركة المتحدة للخدمات الإعلامية لم تغب عن مشاعر الفقد فقالت إنه: أحد أهم رموز السينما المصرية والعربية، وصاحب التجربة الفنية المتفردة التى أثرت الوجدان وطرحت أسئلة الإنسان والمجتمع بصدق وعمق. لقد كان الراحل نموذجا نادرا للمبدع المثقف، الذى قدم أعمالا خالدة ناقشت قضايا الإنسان والمجتمع بجرأة وصدق وعمق، وأسهمت فى ترسيخ مكانة السينما المصرية كأداة للتنوير. وتؤكد الشركة أن إرثه الفنى والفكرى سيظل حاضرًا، وأن أعماله ستبقى شاهدة على موهبة استثنائية ورؤية لا تموت. وكذلك فعلت نقابة المهن السينمائية. والمرشح الأسبق لرئاسة الجمهورية حمدين صباحي.

السينمائية الكويتية فرح الهاشم قالت إن خبر رحيل داود عبد السيّد كان "كصاعقة على قلبي. استيقظتُ من قيلولتي، وغرفتى غارقةٌ فى العتمة، والشمس تميل إلى الغروب خلف النافذة، فإذا بى أقرأ خبر وفاته... وإذا بالدموع تنساب، وأنا أكتب الآن ودموعى تنهمر. لم ألتقِ به يومًا، لكننى عرفته منذ طفولتي. كنتُ فى سينما السيارات فى الكويت فى تسعينيات القرن الماضي، أجلس داخل السيارة مأخوذةً بسحر الشاشة، عندما شاهدت أوّل أفلامه: «أرض الأحلام». كانت فاتن حمامة تبحث عن جواز سفرها، ويسكنها القلق، فانتقل القلق إليّ طفلةً صغيرة.ظلّ ذلك التوتّر يعيش فى ذاكرتي، وتحوّل إلى ظلّ يرافق أسفارى كلّها:" من الكويت إلى أمريكا، ومن بيروت إلى فرنسا، ثم عودتى إلى الكويت الحوار الداخلى نفسه، التردّد نفسه، والأسئلة ذاتها قبل كل رحلة. وأحبّ مشهد فى الفيلم ذاك الذى تجلس فيه فاتن حمامة مع يحيى الفخرانى على الرصيف، يضحكان ببساطة، وتفوتها رحلة السفر... فتظلّ فى القاهرة. وكنت أقول فى داخلي: من ذا الذى يترك القاهرة أصلًا؟ ربّما لهذا السبب أحببت القاهرة، وربّما لهذا كبرتُ على حبّها .أفلام كهذه ربّت قلوبنا، وزرعت فينا مدنًا كاملة تنبض بالحياة. رحم الله داود عبد السيّد صانع الأحلام الهادئة، الذى كان يضع الكاميرا على كتف الروح، ثم يتركنا نكمل الطريق وحدنا. وأنا أكتب الآن، أبكي... ليس حزنًا عليه فقط، بل على جزءٍ من طفولتى رحل معه

وقال الدكتور محمد ابو الغار أكثر رجال السياسة المصرية احتراما: لم يكن فقط فنانا كبيرا بل كان مثقفا عظيما . كان داوود يؤمن بمصر العظيمة الحرة ويؤمن بحقوق المواطن البسيط ، لم يتنازل أبدا عن مبادئه من أجل سلطة أو مال أو شهرة بل كان يبدع ما يراه فنا حقيقيا، تأبى السنة الكبيسة والحزينة أن ترحل قبل أن تأخذ معها قطعة من قلب الوطن.

وقال العقيد أحمد شعبان المسؤول الإعلامى السابق: رحل صانع الأسئلة، وواهب الإبداع السينمائى الفلسفى لجيلنا. رحل مبدع "الكيت كات"، فترك لنا ثراء الشيخ حسنى بصيرةً لا تُرى، وتركنا فى "أرض الخوف" نواجه ذواتنا بلا يقين، نبحث عن الحقيقة كما أرادها دائمًا... سؤالًا مفتوحًا لا إجابة نهائية له. وإن غاب الجسد، فالأثر باقٍ، والحيرة الجميلة لا تموت

أما خالدٌ عاشور فقال: من قابل المخرج العظيم الأستاذ داود عبد السيد يعرف مدى خسارتنا فيه.. خسارة كبيرة يدركها عشاقٍ سينما داود عبد السيد وعشاق السينما عموماً من المحيط الى الخليج.. فهو واحد من عظماء السينما المصرية والعربية ومن انبل واجمل الشخصيات التى قابلتها فى حياتي. أتمنى من العزيزة أ.د. غادة جبارة رئيس أكاديمية الفنون أن يسمى احدى قاعات الأكاديمية أو المعهد العالى للسينما بأسمه تخليداً لذكراه.. وان يسمى أحد ميادين مصر أو الشارع الذى عاش فيه باسمه تخليداً لذكراه.. رجل مثله هذا اقل تكريم لمكانته التى لا تقدر بشيءٍ ولإنسان ومخرج عظيم ظل طيلة حياته مخلصاً للسينما وآثر فينا بفنه وفلسفته.. وسيظل يؤثر فى الأجيال القادمة الى الأبد. يوم حزين فى تاريخ مصر

وقالت ابتهال عبدالوهاب: لم يكن داود عبد السيد مخرجا بالمعنى التقنى للكلمة، بل كان فيلسوفا يكتب أطروحاته بالكاميرا، ويصوغ أفكاره بلغة الصورة والظل، ويترك للشخصيات أن تتكلم نيابة عن الإنسان وهو يتعثر فى أسئلته الكبرى: الحرية، الخوف، السلطة، المعنى، والوهم. فى أفلامه لم يكن البطل فردا، بل حالة وجودية إنسان محاصر بين ما هو كائن وما يجب أن يكون. من البحث عن سيد مرزوق إلى أرض الخوف، ومن الكيت كات إلى الصعاليك، لم نكن نشاهد حكايات بقدر ما كنا ندخل متاهات الوعى المصري: دولة تراقب، ومجتمع يدجن، وفرد يتعلم كيف يعيش وهو خائف، أو كيف يخون نفسه كى ينجو، كان داود عبد السيد يضع إصبعه على الجرح، لا ليصرخ، بل ليجعلنا نرى الدم بأعيننا، ونفهم أن الصمت أحيانا أكثر فتكا من القمع. ينتمى داود عبد السيد إلى جيل استثنائى حمل الراية الثقيلة بعد الكبار: صلاح أبو سيف، توفيق صالح، يوسف شاهين. جيل محمد خان، وعاطف الطيب، وخيرى بشارة... جيل لم يتعامل مع السينما كصناعة ترفيه، بل كمسؤولية أخلاقية ومعرفية، كفعل مقاومة ناعم، وكقوة مصر الحقيقية التى لا تُقاس بعدد الدبابات، بل بعدد العقول الحرة. ومأساة مصر كما هى دائما ليست فى رحيل الكبار بل فى ندرتهم، حصتنا من هذه العقول أقل بكثير مما تستحقه بلاد بتاريخها وعدد سكانها وثراء تجربتها. نصف قرن مضى، ولم يظهر العدد الكافى لتعويض من يرحلون. كأن الأرض تتجب عباقرتها على استحياء، ثم تتركهم وحدهم فى مواجهة الإهمال، والرقابة، وسوء الفهم. داود عبد السيد لم يكن محبوبا لأنه مريح، بل لأنه صادق. والصدق، فى بلاد اعتادت المواربة، باهظ الثمن، ستبقى أفلامك رسائل ليست كلمات تقرأ، بل أرواح تعاش، وأسئلة تطرق العقول فى زمن يكره الأسئلة. ستبقى أرض الخوف خريطة لوجداننا المرتبك، وسيبقى الكيت كات شهادة على عبقرية الضحك فى مواجهة العجز، وسيبقى بحثك عن سيد مرزوق بحثنا نحن عن معنى لم نفقده تماما، لكننا نخشى الاعتراف به. وداعا لفيلسوف الصورة، وناسك الحرية، ومخرج لم يجامل السلطة ولا ذائقة السوق.ستبقى مصر رغم كل شيء، مدينة لك بهذا النور الذى لن ينطفئ ابدا

ونعاه المخرج الكبير خالد يوسف بالقول: سيظل ابداعه ملهما للكثيرين وستبقى شخوص افلامه حية تنبض بالحياة عابرة للزمن ولا تموت اما مواقفه الثابتة الشجاعة ستظل مقياسا نعرف منها الموقف الصحيح وكلماته ستبقى نورا واضاءة دائمة على الطريق.

تقرير- هيباتيا موسى